

ثلاثون فائدة

من

قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء

كتبه

بدر بن علي بن طامي العتيبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على النبي الأمين،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه ثلاثون فائدة من قصة إبراهيم عليه السلام التي ذكرها الله تعالى في سورة الأنبياء، وقد ذكر الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام قصصاً عدة في القرآن الكريم، في كل موطنٍ من المواطن العديد من الدروس والعبر غير ما ذكر أدناه، والله جعل لنا في قصص الأنبياء عبرةً ودروساً لنبينا محمد صلى الله عليه وآله ولأمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١] فالزم سبيل المرسلين، ومنهاج النبيين، وسنن المصطفين الأخيار ف ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:

٩٠].

فصل

يقول الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُرُّهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠﴾ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿١١﴾ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿١٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿١٦﴾ أَفِ لَكُمْ

وَلَمَّا تَعَبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ
 وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٥٢﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا
 وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥٣﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ
 الْأَخْسَرِينَ ﴿٥٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
 لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٥﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا
 صَالِحِينَ ﴿٥٦﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
 الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا
 عَابِدِينَ ﴿٥٧﴾ [الأنبياء: ٥١ - ٧٣].

في هذه الآيات ثلاثون مسألة مهمة يجب على كل مسلم
 ومسلمة أن يعرفها وأن يتأمل فيها:

أولها: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾
 [الأنبياء: ٥١] دليل على اصطفاء الله تعالى له عليه الصلاة
 والسلام، ومن اصطفاء الله تعالى للعبد أن يؤتیه رشده،
 فيميز ما بين الحق والباطل، ولذلك كان الرشد من خير ما
 يسأله العبد المسلم كما في الدعاء الذي حث عليه النبي صلى الله عليه وسلم بأن
 يقول: «اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي» ومن فاتته

الرُّشد وقع في شرورِ النفسِ وحبائلِ الشيطان، والنبي صلى الله عليه وسلم كان من دعائه في خطبه: «ونعوذ بالله من شرور انفسنا» وكان يستعيد بالله تعالى من شر النفس والشيطان وشركه.

والثانية: في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١] دليلٌ على علم الله تعالى السابق، وأنَّ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وأنَّ إبراهيم عليه السلام أهلٌ لحمل الرسالة الإلهية، ف ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

والثالثة: البدء بنذارة الأقربين، وعدم محاباة القريب، وبذل النصح والإنكار للبعيد، فقدّم الله تعالى ذكر إنكار إبراهيم عليه السلام لأبيه أولاً، فقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ [الأنبياء: ٥٢].

والرابعة: فهم القضية، وحققة الواقعة، وسؤال إبراهيم عليه السلام لهم عن حقيقة صنيعهم مع تلك التماثيل، ومن

أصول الإنكار: العلم بالمنكر، وكيف ينكر.

والخامسة: الحكم بالظاهر، وعدم تكلف الأعداء، وأسرار الباطن، فوصفهم إبراهيم عليه السلام وقومهم بالضلال المبين.

والسادسة: فيها الدليل على أن الاعتكاف عبادة لا تكون إلا لله، ولا تكون إلا في بقعة يقصد فيها الله تعالى وحده.

والسابعة: الحجة الملعونة التي أضل الله بها خلقاً كثيراً، وهي: الاحتجاج بدين الآباء والأمم السابقة، كما قال تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤] وقال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لْتَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٧٨] وقال تعالى:

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٨﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٩﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٨٠﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء: ٧٢ - ٧٧] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا

قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
 آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾
 [لقمان: ٢١] وقال: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا
 يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ
 ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ
 مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ [الزخرف: ٢٠ - ٢٢] وقال: ﴿وَكَذَلِكَ مَا
 أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا
 آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ [الزخرف: ٢٣]،
 ونحو ذلك من الآيات الدالة على خطر هذه الشبهة اللعينة،
 والتعصب المذموم، والتقليد الساقط.

والثامنة: معرفتهم لمعنى العبادة، وأنَّ العكوف عند
 الأصنام عبادة لها، وأنَّ قصد المخلوق بشيء من أنواع
 العبادة: عبادة لها، لا كما يقوله بعض من أعمى الله بصيرته،
 وجعل على بصره غشاوة، ويزعم بأن ذلك ليس عبادة وإنما
 هو وسيلة وقربة إلى الله تعالى.

والتاسعة: إشهار ضلال من كفروا بالله تعالى، وبيان

كفرهم، حتى من كان في الأمم السابقة، فلم يعذرهم بشيء من معاذير أهل الضلال الذين يخلقونها في دفاعهم عن المشركين.

والعاشرة: عبث أهل الباطل، وتهكمهم بالحق وأهله، وزعمهم أنّ ما جاء به إبراهيم من الدعوة إلى التوحيد والبراءة من الشرك قد يكون لعباً! وهذا يدل على بالغ عمى البصيرة لدى من لم يرد الله تعالى هدايته، وكيف أنه لا يميز ما بين الحق الواضح البين وما عداه، كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُوءًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

والحادية عشرة: الاحتجاج بدلائل الربوبية لتحقيق توحيد الألوهية، وكان الحق الذي جاء به إبراهيم عليه السلام: البراءة من آلهتهم وعبادة الله وحده، وهذه حقيقة كلمة التوحيد: لا إله إلا الله تعالى، كما قال في الزخرف: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿١١٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿١١٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ ﴿ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨]، فألزمهم إبراهيم عليه السلام بما هو مستقر في قلوبهم عقيدة، وما في فطرهم جبلةً بأنَّ الإله الحق هو الموصوف بصفات الربوبية التي أنتم تقرّون بها ولا تكفرون، وهو ربُّ السموات والأرض، وفاطرهما -أي: خالقهما- ومدبرهما، وأن هذا الإقرار كما أنكم تشهدون به: أنا عليه من الشاهدين، وأنا كذلك على ما شهد به إبراهيم عليه السلام وسائر رسل الله من الشاهدين.

والثانية عشرة: عزم إبراهيم عليه السلام وجدّه، على القيام بأمر الله تعالى، وفيه أنّ الامتثال بالأمر يقوم على الاستطاعة، فلم يُبادرها بالتكسير حال حضورهم لتعذر ذلك ومشقته، ولكنه أرجأ ذلك حال القدرة والاستطاعة، وهذا لا يكون إلا في غيابهم.

والثالثة عشرة: مشروعيةُ تكسيرِ الأصنام، وهدمها، وعلى ذلك كان دينُ المرسلين عليهم الصلاة والسلام، كما صنع إبراهيم عليه السلام، وكما صنع موسى عليه السلام في العجل، قال تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُْحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ

لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ [طه: ٩٧- ٩٨] ويقول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:
 «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله ولا
 يشرك به شيء» رواه مسلم، وبذلك أرسل أصحابه لما مكّنه
 الله تعالى، فكسروا وأحرقوا آلهة المشركين كالعزى واللات
 ومناة وذوي الخلصة، بل باشر النبي صلى الله عليه وسلم تكسيرها بيده - مع
 كثرتها- حين فتح مكة، وهو يقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ
 الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

والرابعة عشرة: تقديم المصالح الشرعية، والموازنة بين
 الأعمال، فإبقاء إبراهيم عليه السلام لكبيرهم ليس إقراراً
 لبقائه، وإنما لمصلحة شرعية راجحة بينها في قوله تعالى:
 ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨].

الخامسة عشرة: معرفة المشركين أنّ كلّ من يُصرف له
 شيءٌ من العبادة، فقد اتُّخذَ إلهًا، فالتعبد عندهم هو: التأله،
 والمعبود هو المألوه، ولذلك قالوا: ﴿بِأَلْهَتِنَا﴾.

السادسة عشرة: اختلاف مفاهيم أهل الضلال، وبالغ

مكابرتهم، وقلوبهم للحقائق! وكيف استعظموا كسر حجارة
لا تضر ولا تنفع، واعتبروه ظلماً، وهم قد وقعوا في الظلم
العظيم، بينهم وبين الله تعالى، ومثله الظلم العظيم على فتى لا
ناصر له، في ضعف وانفراد منه أمام قوة وجبروت وكثرة
منهم؛ حتى حملوه مقيداً وألقوه في نارٍ جمعوا حطبها شهراً
كاملاً!

السابعة عشرة: الظهور بالحق، والاشتهار به، ونبد الخمول
والعزلة في وقت الحاجة إلى إقامة الدين، فالميل إلى العزلة
والخمول في وقت الحاجة إلى نصره الدين والقيام به: ضعف
وخور، وانهزامٌ وذلةٌ، وإبراهيم عليه السلام إنما نال وصفه بـ: «الأمّة»
لما قام بأمر الله تعالى، واشتهر بذلك، حتى عرفه قومه
بذلك.

الثامنة عشرة: الاهتمام بالتوحيد، والمبالغة في التحذير من
الشرك، وتكرار ذلك، والإكثار منه، ولذلك عبروا بالفعل
المضارع وقالوا: ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ يفيد الإكثار من ذلك والتكرار،
ولو قالوا: «ذكرهم» لأشعر بقلّة ذلك ولو مرة واحدة!

فتكراره وإثكاره عليه الصلاة والسلام دليل على صدق القيام بأمر الله، وخطورة الشرك، كما صنع نوح عليه السلام لما قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾ سَتَجَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٩﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ٥ - ٩] وكذلك صنع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فيأتيهم في مجامع الناس، ويرقى على الصفا، وينزل الأسواق، ويقول: «يا قوم قولوا: لا إله إلا الله؛ تفحلوا».

التاسعة عشرة: عدم الخوف من الباطل وأهله ولو كثروا، وأن أهل الحق أعلى بالحجة والبرهان في كل حين، وكيف أن الله دحض حججهم، وأبطل مكيدتهم، وأزهق باطلهم من شخصٍ واحدٍ مقابل أمة مجتمعة.

العشرون: في قوله تعالى: ﴿قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٦١]: التخويف بالكثرة، وإرهاب النفس بجمهور أهل الباطل، وهذا سبب جمعهم

للناس كي يناظروه على أعينهم.

الحادية والعشرون: أَنَّ مِنَ الْقَوْلِ مَا لَا يَرَادُ بِهِ حَقِيقَتُهُ،

وإنما الغاية من ورائه، فإبراهيم عليه السلام لم يرد الكذب والفرار

منهم لما قال: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا

يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وإنما أراد بذلك الإلزام والإفحام

الذي بينه في قوله: ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾، وهذه

من طرائق إبراهيم عليه السلام في النظر، وعليه تُنزل حاله في قصة

الكواكب لما كان يقول: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦] إنما

هو للإلزام والإفحام، قال ابن كثير في "تفسيره" (٣/

٢٩٢): «والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كان في

هذا المقام مناظرا لقومه، مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من

عبادة الهياكل والأصنام»

الثانية والعشرون: شهادة الكفار على أنفسهم بالكفر

والضلال، وإنما جحدوا ذلك واستيقنته انفسهم ظلماً وعلواً،

فهنا قال الله عنهم: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ

اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ

وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿ [التوبة: ١٧].

الثالثة والعشرون: ذلة أهل الباطل أمام تجلي حجة الحق، وكيف أطرقوا برؤوسهم وعلّموا أنهم على ضلال، كما ذكر الله تعالى في حال المشركين لما أنكروا البعث في الظاهر، ولما حوجوا أفهمهم الله بالخلق الأول، وأن من أوجدهم أولاً قادرٌ على بعثهم آخراً، فنغضوا رؤوسهم، قال تعالى:

﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿ يوم يدعوكم فتستجبون بحمده وتظنون إن لبئتم إلا قليلاً ﴾ [الإسراء: ٥١، ٥٢].

الرابعة والعشرون: من علامات كمال الله تعالى واستحقاقه للعبادة: النطق والكلام، وهذا من أعظم حجج أهل السنة خلافاً للجهمية الذين جحدوا الكلام والصوت والحرف، فمن لا ينطق ناقصٌ لا يستحق أن يكون رباً ولا أن يُعبد.

الخامسة والعشرون: تدفق الحق، وتتابع راياته وحججه،

وكيف أن نقص ذات المخلوق بله الأجار وقصورها دليل على عدم استحقاقية عبادتها من دون الله، كذلك نقص صفاتها وأنه لا تملك النفع ولا الضرّ لعبادها كما يعلمون، فكل ذلك دليل على أن من صفات الربوبية وكمال الذات والصفات: الكلام وتمام ملك النفع والضر.

السادسة والعشرون: البراءة من المشركين قبل البراءة من آلهتهم، كما قال إبراهيم: ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٦٧] وكما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [المتحنة: ٤] وقال تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥] وقال: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١] وقال: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ

أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿﴾ [الأنعام: ١٤].

السابعة والعشرون: أن عبادة غير الله تعالى: مخالفة للعقل، كما أنها مخالفة للفطرة والسمع، ولذلك قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧]، ولذلك هم يذمون أنفسهم ندما بعدم العقل يوم القيامة ويقولون: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿﴾ فاعترفوا بذنبيهم فسحقاً لأصحاب السعير ﴿﴾ [الملك: ١٠، ١١] فذنبيهم: محادة السمع الذي جاءت به الرسل، وانطماس العقل الذي به يعرفون فساد ما هم عليه من دين.

الثامنة والعشرون: شدة غيرة أهل الشرك والضلال على دينهم، ومبلغ حنقهم وحقدهم على أهل الحق، وكيف رأوا عقوبته بأشد العقوبات، وهي: التحريق بالنار! وكان بإمكانهم معاقبته بما هو دون، فهو وحيد فريدٌ تحت دولتهم، ولكن مبالغة في النكاية، وتعبيراً عن مبلغ محاربتهم للحق وأهله رأوا إحراقه بالنار! كما ذكر الله تعالى عن أهل الكهف

وماذا كان يصنع أهل القرية الظالمة بأهل الحق بأنهم لا يدعونهم إلا بتحقيق أحد أمرين: إما صرفهم عن الدين الحق، أو رجمهم بالحجارة حتى الموت! قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠]، وما صنيع فرعون ببني إسرائيل عن الاحتجاج به في ذلك ببعيد، حتى أسرف في أمة كاملة، وقصة الغلام وأصحاب الأخدود، في ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ ✦ إذ هم عليها قعود ✦ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ✦ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ✦ الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد ✦ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ✦ [البروج: ٥ - ١٠] وما جرى من كفار قريش مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، كياسر وسمية وخبيب وبلال وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم من الإسراف في الظلم والقتل، فصاحب الضلال مهما تظاهر بالحب والعدل والانصاف والمروءة فلن يعلي ذلك كله على دينه، ومتى

تمكن من أهل الحق أسرف فيهم بكل ما يستطيع من ظلم
 وفجور، قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا
 فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ
 وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا
 عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ
 إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ [التوبة: ٨ - ١٠].

التاسعة والعشرون: تعاون أهل الباطل على باطلهم،
 وتآزرهم، وتهيبج العامة على صاحب الحق، وكيف أنهم
 يقول بعضهم لبعض: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾
 [الأنبياء: ٦٨] فأهل الباطل -مهما تفرقت قلوبهم
 وأسماءهم- إلا إنهم يتعاونون على حرب الحق وأهله، والصبر
 على ما هم عليه من باطل، قال تعالى: ﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمُ
 أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦]
 ، فإن كان هذا من أهل الباطل مع باطلهم فأهل الحق
 مع دينهم أولى وأولى بالثبات والصبر والمصابرة والتعاون على
 البر والتقوى، ونصرة دين الله تعالى.

الثلاثون: المعجزة الإلهية، والسنة الربانية؛ في حسن عاقبة
الموحدين، وكيف نصر الله إبراهيم عليه السلام في آخر الأمر،
والعاقبة للمتقين، فحماه الله وأعطاه، ولما كان دفاع إبراهيم
عن حق الله تعالى بإفراده بالعبادة، وأنه لا يدفع الشر إلا
الله، ولا يجلب الخير إلا الله، حيث قال: ﴿أَتَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٦]
أكرمه الله بخير إكرامٍ جزاءً ما آمن به، فدفع الله عنه شرهم
بما لا تدركه العقول: فجعل النار المحرقة برداً وسلاماً عليه،
ففسروا كيدهم، وهذا هو الشر المدفوع، ثم وهب الله إسحاق
وضاعف البشري له ليس بالولد فقط، بل بولد الولد؛ وهو
يعقوب عليه السلام، ثم لما وهب الله له إسحاق ويعقوب: جعلهم
صالحين، بل اصطفاهم للنبوة.

وتأمل مبلغ سعة فضل الله تعالى على ذلك الفتى الذي
دعا إلى التوحيد، وتبرأ من الشرك، وقام بذلك خير قيام،
حتى أوذى أشد الأذى، وكيف أن الله تعالى:

[١] أكرمه بأعظم إكرام حيث اصطفاه الله تعالى للخلة فوق ما هو عليه من شرف النبوة والإسلام، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

[٢] وألهمه الله الرشد - كما تقدم - وآتاه الحجة، وأعلاه على خصومه، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣].

[٣] وزاد قلبه تطميناً وثببتاً وإيقاناً بدلائل ربوبيته سبحانه بما في قصة الطير، وما في قصة الكوكب، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُزِّيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

[٢] دفع عنه الشر، وحماه من النار، وجعلها برداً وسلاماً عليه، وأبطل كيد خصومه، وجعلهم الأخسرين.

[٣] ووهبه الذرية الصالحة، وكذلك يجزي الله المحسنين، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ

وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٨٤﴾ [الأنعام:

١٨٤].

[٤] وجعل النبوة من بعده في ذريته، وتاجهم وإمامهم وخاتمهم وأفضلهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

[٥] ورفع ذكره حتى جعل الدين القيم الحق، والملة الحنيفة تُنسب إليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

[٦] جعل الناس يحجون إلى البيت الذي رفع قواعده، ووقف على مقامه، وصعد على جبال البلد الذي هو فيه - مكة- ويقفون في مواطن وقوفه من منى إلى عرفة إلى

مزدلفة إلى منى إلى البيت العتيق، ويرجمون الجمار كما رجم، ويتقربون لله تعالى بالدم كما صنع، وجعل من دخل دارا شيدها، ومقاما أقامه: كان آمنا، وأصبح بعدما كان الناس ينفرون منه ويؤذونه، أكرمه الله تعالى بحبة الناس له، وأمره بالأذان في الناس بأن يحجوا بيت الله، وأوجب على كل مسلم أن يجيب لدعائه، ويلبي لندائه، ويحج البيت في عمره ولو مرة واحدة، ويقول حال إقباله للبيت: لبيك اللهم لبيك.

[٧] أن الله جعله للناس إماماً، كما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].
 [٨] وجعله قاتلاً له مداوماً على طاعته.
 [٩] وشهد الله له بصدق التوحيد والميل عن دين المشركين.

[١٠] وجعله حليماً أوّاهاً منيباً.
 [١١] ووهب آل إبراهيم كمال الدين والدنيا، كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿النساء: ٥٤﴾ .

كلُّ هذه الهبات الربانية - وغيرها كثير - كانت ثواب إبراهيم عليه السلام لما قام بأمر الله تعالى حق القيام، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٠﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢٢] .

ففي قصته من السلوان لمن صدقوا في القيام بدين الله تعالى، ودعوا إليه، وكفروا بجميع ما يُعبد من دون الله، ولم يوالوا أعداء الله ولو كانوا من الأقربين، ولم يقدموا على طاعة الله وحقه الواجب شيء من أمور دنياهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَأَخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنَّ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٢٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٣﴾ [التوبة: ٢٣، ٢٤].

ويقول تعالى في إكرامه للغرباء الذين يقومون بدين الله تعالى، ويوالون أوليائه ويعادون أعداءه، ويشهرون البراءة من الشرك والمشركين: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فوهب الله من قام بدين الله تعالى أصدق القيام، وفاصل من دون ذلك القريب قبل البعيد، بتسع هباتٍ جزاءً وفاقاً:

[١] أن الله يكتب في قلبه الإيمان.

[٢] وأن الله يؤيده بروح منه.

[٣] ووعده الله بالجنة.

[٤] ويضاعف الأجر له بالجنات لا الجنة الواحدة.

[٥] ويكتب له الخلود الأبدي فيها.

[٦] ويرضى الله عنه.

[٧] ويعطيه الله من النعيم ما يرضيه هو عن الله.

[٨] ويضمه الله إلى حزبه.

[٩] ويكتب له الفلاح الدنيوي والأخروي.

ويضاف إلى ذلك:

ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]، بأن:

[١٠] أن الله ينشر له من رحمته.

[١١] ويسهل له أموره، ويجعل له من أمره مرفقا.

فلا يكثرث المسلم الموحد بما يقابله من أذى في سبيل الله تعالى، والقيام بدينه، فمن أعظم شعائر ملة إبراهيم عليه السلام: معاداة أعداء الله، وإعلان البراءة منهم، يقول أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي - فيما نقله ابن مفلح في "الآداب الشرعية" (١ / ٢٣٧) -: «إذا أردت أن تعلم محل الإسلام

من أهل الزمان فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع،
ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلى مواطأتهم
أعداء الشريعة».

هذا وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
كتبه الفقير إلى عفو ربه العلي: بدر بن علي بن طامي
العتيبي غرة شهر محرم ١٤٤٢ هـ.